وكذلك جعلوا تكرير العين نحو فرّ َح و َبشّ َر فجعلوا قوّة اللفظ لقوّة المعنى وخصّ ُوا بذلك العين لأنها أقْوى من الفاء واللام إذ هي واسطة لهما ومكنوفةٌ بهما فصارا كأنهما سيَاج لها ومَبْذولان للعَوارض دونها ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها .

(فأما مقابلةُ الألفاظ بما يُشاكل أصواتها من الأحداث فبابٌ عظيم واسع ونَهْج مُتْلَئبّ عند عَارفيه مَأمُوم وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمت الأحداث المعبّر بها عنها فَيَعدلونها بها ويَحتذُونها عليها وذلك أكثرُ مما نقدّره وأضعافُ ما نستشعره من ذَلك قولهم : خَضَم وقضم ف) الخَضْم لأكل الرّ َطْب (كالبطّيخ والقثّ َاء وما كان من نحوها من المأكول الرطب) والقضْمُ لأكل اليابس (نحو قَضَمَت الدّ َابة شعيرها ونحو ذلك .

وفي الخبر : (قد يُدْرَكُ الخَضْم بالقَضْم) أي قد يُدرك الرخاء بالشدة واللّين بالشّ َظَف .

وعليه قول أبي الدّ َرْداء : يَخْضمَون ونقضَم والموعد اللّه) فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس (حَذْواً لمسموع الأصوات على مَحْسوس الأحْداث) (ومن ذلك قولهم) النّ َضْح للماء ونحوه والنّ َضْخ أقوى منه (قال اللّهُ سُبْحَانه : (فيهمَا عَيْنَان نَضّاخَتاَن)) فجعلوا الحاء لرقتها للماء الخفيف والخاءَ لغَلظها لما هو أقوى (منه) ومن ذلك القدّ طولاً والقطّ عرضاً لأن الطاءَ أخفض للصوت وأسرعُ قطعاً له من الدّ َال فجعلوا لقَطْع العَرض لقُرْبه وسرعته .

والدّال المَاطلة لمَا طال من الأثَر وهو قَطْعُهُ طولاً .

قال : وهذا الباب واسعٌ جداً لا يمكنُ اسْتقْصَاؤُه .

قُلت : ومنْ أَمْثلة ذلك ما في الجمهرة : الخَنَنَ في الكلام أشدّ ُ من الغَنَن